— ٣ —

وفى الظهيرة من غد شهدت محطة « القاهرة » شيخاً ضريراً ضامر العود تأخذ بيده ريفية مليحة يستر وجهها خمار رقاف ، ومعها ريفى قوى العضل ، عريض المنكبين ، عليه سيماء الفتوة ؛ وهم ينقلون خطا هيابة بين جموع الوافدين . وهبطوا الميدان الفسيح فى ملتطم الزحمة يستخبرون ويستدلون .

وماهى إلا أن أقلتهم مركبة تقطع طرقات المدينة المعبدة ، تارة تنفسح وطورا تضيق ، حتى أسلمتهم إلى أطراف المدينة يعلوها جبل الجيوشى أجرد مغبراً ، كأنه عابد فى تنسكه نفض عنه لبوس الترف واتشح بمسوح الرهبان .

فتوقفت المركبة ، وسمع صوت الحوذى يهمهم :

هنا ماتنشدون ... لقد وصلنا .

ونزل الجمع من المركبة يرتقون درجا من الحجر أوفى بهم على كهف غائر فى بطن الجبل ، يستكن فيه ضريح ولى الله « المغاورى » وعلى بابه حارس مهيب الطلعة تتهدل فوق صدرة لحية شهباء — فتقدم منه الثالوث الريفى ، فأشار إليه يهديه الطريق ، فاندفع الرفقة الثلاثة يقطعون سردابا خاشع الضوء ، تتناثر على جانبيه قبور عليها سكينة الموت وجلال الفناء .